السنة التاسعة والثلاثون

قال علماء السير ممَّن سمَّينا: وفيها فرَّق معاوية جُيوشه نحو العراق، فبعث النعمان بن بَشير في ألفَيْ رجل إلى عين التَّمر، وبها مالك بن كعب مَسْلَحةً لأمير المؤمنين في ألف رجل، [فأذن لهم علي، فأتى] منهم تسع مئة إلى الكوفة، ولم يَبق مع مالك سوى مئة رجل، فكتب مالك إلى علي يُخبره، فصَعِد المنبر، وأمرهم بالنُّهوض فتثاقلوا، فقال:

يا أهل الكوفة، كلما سمعتم بمَنْسِر من مَناسِر أهل الشام قد أظَلّكم؛ انحَجَر كلُّ امرئ منكم في بيته وأغلق عليه بابَه، المغرور والله مَن غَرَرْتموه، ومَن فاز بكم فاز بالسهم الأخْيَب، لا أحرارٌ عند اللقاء، ولا إخوانُ ثِقةٍ عند النَّجاء، إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا مُنيتُ به منكم، عُميٌ لا تُبصرون، وبُكْمٌ لا تنطِقون، وصُمٌّ لا تَسمعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم نزل.

وأما مالك بن كعب فإنه لما دَهَمه النعمان خرج في المئة رجل الذين بقوا عنده، قد كسروا جُفون سيوفهم واستقتلوا، فلما رآهم أهل الشام قد فعلوا ذلك ظنوا أنهم مَدَد[1]، فولَّوا على أدبارهم، وتبعهم مالك فقتل منهم نفراً، وكتب إلى أمير المؤمنين بالفتح.

وفيها بعث معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف فارس، وأمره أن يأتي هِيت والأنبار والمدائن فيغير عليها، وكان بهِيت أشرس بن حسان البَلَوي، وقد تفرَّق عنه أصحابه، ولم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً، فخرج إليهم فاقتتلوا، وثبت أشرس، وقاتلهم قتالا شديداً، فقتلوه وأصحابه، ثم نهبوا أموال أهل هِيت والأنبار، ورجعوا إلى الشام.

وبلغ الخبر أمير المؤمنين، فخرج في آثارهم، فمنعه أهل الكوفة وقالوا: نحن

(١) كذا، وفي العبارة سقط، يستدرك من الطبري ٥/ ١٣٣، والمنتظم ٥/ ١٥٧ وهو أن مالك بن كعب كتب إلى مخنف بن سليم أن يمده، وهو قريب منه، فوجه إليه مخنف ابنَه عبد الرحمن في خمسين رجلاً، فانتهوا إلى مالك وأصحابه وقد كسروا جفون سيوفهم...

نكفيك، فقال: ما تكفونني؛ ونزل بالنُّخَيلة، فجهَّز في آثارهم قيس بن سعد، ففاتوه[١].

وفيها بعث معاوية عبد الله بن مَسْعَدَة الفَزاريّ في ألف وسبع مئة رجل إلى تَيْماء، وأمره أن يُصَدِّق مَن مَرّ به من أهل البوادي، وأن يَقتل من امتنع من أداء صَدَقَةِ ماله، ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز.

فسار الفَزاريّ في جَمعٍ كثير من قومه، وبلغ أمير المؤمنين، فبعث المسيَّب بن نَجَبَة الفَزاريّ في ألفَيْ رجل، فأدرك ابنَ مَسْعَدة بتَيْماء حين زالت الشمس، واقتتلوا قِتالاً شديداً، وحمل المسيَّب على ابن مَسْعدة، فضربه ثلاث ضَربات على رأسه، كلّ ذلك ولا يلتمس قَتْلَه ويقول له: النَّجاء النجاء، فدخل ابن مسعدة وعامة مَن معه حِصن تَيْماء، وهرب الباقون إلى معاوية، وانتهب الأعراب إبلَ الصَّدقة التي كانت مع ابن مسعدة، وحصره المسيّب ومَن معه ثلاثة أيام، ثم ألقى الحَطَب على الباب، وألهب فيه النار، فاحترق الباب، وأيقنوا بالهلاك، فأشرف ابن مسعدة ومَن معه فقالوا: يا مُسيّب، قومك. فرَقَّ لهم، وكره هلاكَهم، فأمر بالنار فأُطفِئت، وقال المسيب لأصحابه: قد أخبروني عيوني بأن جنداً قد فصل إليكم من الشام، فانضموا في مكان واحد، ففعلوا، فلما جاء الليل خرج ابن مَسعدة وأصحابُه نحو الشام، فقال عبد الرحمن بن شَبِيب للمسيب: سِرْ في طَلَبهم، فأبى عليه، فقال: غَشَشْتَ أمير المؤمنين.

وفيها بعث معاوية الضَّحّاك بن قيس في ثلاثة آلاف نحو واقِصة، وأمره بالغارة على مَن هو في طاعة أمير المؤمنين من الأعراب، فسار يَقتل ويَأخذ الأموال، ومر بالثَّعْلبية، وانتهى في غارته إلى القُطْقُطانَة، وأتى الضَّحَّاك على عمرو بن عُمَيْس بن مسعود وهو في خيل لأمير المؤمنين، وأمامه أهله يريدون الحج، فأغار الضحاك عليهم، ومنعهم من الحجّ، وبلغ أمير المؤمنين، فسرَّح حُجْر بنَ عَديّ الكِنديّ في أربعة آلاف، فسار خلف الضحاك، فلحقه بتَدمُر، فقتل من أصحابه تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حجر رجلان، وحال بينهم الليل، فهرب الضحاك وأصحابه، ورجع حُجر بمَن معه سالماً غانماً.

وقال ابن سعد عن الواقدي، حدثني ابن جريج، عن ابن أبي مُلَكية قال: وفي سنة تسع

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٣٤، وأنساب الأشراف ٢/ ٣١٩ـ٣٢٠، والمنتظم ٥/ ١٥٧ـ١٥٨.

وثلاثين سار معاوية بنفسه حتى شارف دجلة ثم نَكَص راجعاً، وذكره أبو معشر أيضاً[١].

وقد ذكرنا أن أمير المؤمنين وَجّه زياداً إلى فارس فيما تقدّم، بعد حريق ابن الحَضْرَمي لما اختلف الناس على علي عليه السلام، وأخرجوا عُمَّاله.

وقال عمر بن شَبَّة: إنما كان ذلك في سنة تسع وثلاثين لما امتنع أهل فارس من الخراج، فاستشار علي مَن يُولّيه، فقال له جارية بن قُدامة: ألا أدُلُّك على رجلٍ صَليبِ الرَّأي، عالمٍ بالسياسة، كافٍ لما وَلي؟ قال: مَن هو؟ قال: زياد بن أبيه، فقال: هو لها، فسار في أربعة آلاف إلى فارس وكَرْمان، فدوَّخ تلك البلاد فاستقاموا.

وقال الشعبي: إن الذي أشار بتولية زياد عبد الله بن عباس، وكان زياد مُقيماً بالبصرة، وكان ابن عباس قد قدم على أمير المؤمنين الكوفة، فاستشاره فأشار عليه بزياد، فقال له علي: إذا وصلتَ البصرة فوَلِّه، فولّاه، وقد أشرنا إليه فيما تقدّم.

قال عمر بن شَبَّه، عن أشياخه: دخل زياد بلاد فارس وهي تضطرم ناراً، فلم يزل بهم بالمُداراة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطاعة والاستقامة، لم يقف موقفاً واحداً للحرب، وكان أهل فارس يقولون: ما رأينا سيرةً أشبهَ بسيرة كِسرى أنو شِروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة، والعلم بما يأتي.

قال: ولما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها، فوَعد مَن نصره ومَنَّاه، وخوّف قوماً وتوعَّدهم، وضرب بعضَهم ببعض، ودلَّ بعضَهم على عَورة بعض، فدانت له البلاد، وأتى إلى اِصطَخْر فنزل بها، وحصَّن بها قلعة زياد، وحمل إليها الأموال، ثم تحصّن فيها بعد ذلك منصور اليَشْكُري، وهي اليوم تُسمّى قلعةَ منصور.

واختلفوا فيمن حجّ بالناس في هذه السنة، فقال قوم: عبد الله بن عباس، وبعث معاوية يزيد بن شَجَرة الرُّهاوي ليَحجّ بالناس، فتنازعا، ثم اصطلحا على شَيبة بن عُثمان الحَجَبي، فصَلّى بالناس، ووقف بهم.

وقال هشام والواقدي: لم يشهد عبد الله بن عباس في أيام علي عليه السلام الموسم، ولاحجّ بالناس.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٣٥ـ١٣٦ .

وقال الواقدي: بعث علي عليه السلام في سنة تسع وثلاثين عُبيد الله بن العباس، وبعث معاوية يزيد بن شَجَرة الرّهاويّ، فتنازعا وهمَّا أن يَقتتلا، فدخل بينهما الناس، فاصطلحا على شَيبة بن عثمان بن أبي طلحة.

وقال الهيثم: بعث علي عليه السلام قُثَم بن العباس على الموسم في سنة تسع وثلاثين، فنازعه يزيد بن شَجَرة الرهاوي، وأبى كلّ واحدٍ منهما أن يُسلِم الأمرَ إلى الآخر، وخاف الناس الفَوات، فرضي أهل مكة بشَيبة بن عثمان، فأقام لهم الحج.

وكان عمال أمير المؤمنين في هذه السنة على الأمصار بحالهم كما كانوا في السنة الماضية[١].

وفيها توفي

سعد القَرَظ

مولى عمار بن ياسر، والقَرَظُ وَرَق السَّلَم، وإنما نُسب إليه لأنه كان يَجنيه ويبيعه للدِّباغ.

وكان سعد يؤذن على عهد رسول الله ﷺ بقُباء، ثم أذَّن على عهد أبي بكر وعمر، وأنزله عمر داراً بالمدينة، وتوارث الأذانَ بعده أولادُه، وكان يَحمل العَنَزة بين يدي أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي في الأعياد، وكان أولادُه يُرجّعون في الأذان، وهو اليوم بمكة على ذلك، وهو مذهب الشافعي وأهل الحجاز، وأما أهل المدينة والشام والعراق فلا يُرَجّعون، وهو مذهب أبي حَنيفة ومالك وأحمد[٢]، وقد بيّناه فيما تقدم.

وذكره جدي في «التّلقيح» فقال: سعد القَرَظ بن عائذ الأنصاري، مولى عمار بن ياسر، له صحبة ورواية، وليس في الصحابة مَن اسمه سعد بن عائذ غيرُه[٣].

---

(١) انظر الطبري ٥/ ١٣٦ـ١٣٨ ، والمنتظم ٥/ ١٥٩ـ١٦٠ .

(٢) انظر المقنع مع الشرح الكبير والإنصاف ٣/ ٦٤ ، والمغني ٢/ ٥٦ ، ومغني المحتاج ١/ ١٣٦ ، وحاشية ابن عابدين ١/ ٣٨٦ .

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٩٨ ، وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ١٠٦ ، والمعارف ٢٥٨ ، والاستيعاب (٩٤٠)، والمنتظم ٥/ ١٦٠ـ١٦١ .